الرّواية في سورية وفي الجزائر

أوّلا: الرّواية السّوريّة:

بعد مرحلة التّرجمة والتّقليد يأتي الإبداع ومن الأشكال الرّوائيّة التي عرفت إنتاجا فنّيّا الرّواية التّاريخية إذ «عبّرت عن التّاريخ السّياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثّقافي. ومن الرّوائيّين "جورجي زيدان" الذي يعدّ مؤسّس الرّواية التّاريخيّة العربيّة في سلسلته التّاريخيّة ومن بين أعماله: (فتح الأندلس، والمملوك الشارد...)، وكذا "محمّد سعيد العريان"، و"معروف الأرناؤوط"، وروايات "حنّا مينة"[1]، وكثيرا ما ترصد الأعمال السّوريّة مرحلة الاستعمار الفرنسي في مكان ما من البلاد، ففي رواية "المصابيح الزّرق" (1954) أولى روايات "حنّا مينة " صوّر من النّضال في مدينة اللاذقيّة ضدّ هؤلاء المحتلّين، وكما يرصد "جميل سلّوم شقير" مرحلة الثّورة السّورية بقيادة "سلطان باشا الأطرش" في جبل العرب من خلال بطله عساف في روايته "التجذيف في الوحل"، وفيها صفحات لأحداث تاريخيّة كرحيل الثّوار إلى باديّة الأزرق ووادي السّرحان في الأردن[2].

ومن الإبداع الفنّي التّاريخي أخذت الرّواية السّورية أشكال مختلفة ممّا أدّى بالباحثين إلى الاهتمام بالخطاب الرّوائي السّوري، ومن هؤلاء "عادل فريجات" الذي قام بدراسة السّرد في مختلف أشكال الخطاب الرّوائي السّوري

---

[1] ينظر: خليل الموسى، ملامح الرّواية العربيّة السّوريّة – دراسة، ص29.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص29.

في كتابه: (الخطاب وتقنيّات السّرد في النّص الرّوائي السّوري المعاصر) مشيرا إلى أعمال مختلف الكتاب السّوريين مثل "حنّا مينة " شيخ الرّواية السّوريّة في أعماله: (الذّئب الأسود، والأرقش والغجريّة) إذ كتب عن «الفساد في الوطن العربي برمز شفّاف. مقدّما صورة نمطيّة عن بطله المكرّر في رواياته السابقة»[1]، فتميل أعمال "حنّا مينة" إلى الكتابة الواقعيّة، وتصوير المقاومة والكفاح، ففي رواية "الأرقش والغجريّة" التي تعدّ الجزء الثّاني لورواية "الذّئب الأسود" يقول: «انتهت المسرحيّة، لكن الكفاح لم ينته»[2]، وكذلك "غادة السّمان"، و"عبد السّلام العجيلي"، و"هيفاء بيطار"، و"عبد الكريم ناصيف" وغيرهم، حيث كشفوا عن جوانب في الرّواية السّوريّة كمسألة الهويّة والفساد في المجتمع وتوظيف الموروث السّردي العربي كألف ليلة وليلة.

ثانيّا: الرّواية الجزائريّة:

تتضمّن الأعمال الأدبيّة الجزائريّة. تاريخ الجزائر في مراحله المختلفة قبل الثّورة التّحريريّة وبعدها، ومن ذلك نذكر في الشّعر "مفدي زكريا" الذي كتب عن ألم الشّعب الجزائري ورفع صوته عاليّا إلى أبعد الحدود في (اللّهب المقدّس)، و(إليّاذة الجزائر) التي تحمل صوّر الألم، والدّم والتّعذيب، لشعب كافح لأجل الحريّة ضدّ المستعمر الفرنسي، وأمّا في الأعمال النّثريّة

---

[1] ينظر: عادل فريجات، الخطاب وتقنيّات السّرد في النّص الرّوائي السّوري المعاصر منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دط، 2009، ص6.

[2] حنّا مينة، الأرقش والغجريّة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص206.

التي عالجت الجانب التّاريخي وعكست معاناة الشّعب، القصص والرّوايات التي عبّرت عن ذلك بأساليب مختلفة، وما كتب باللّغتين الفرنسيّة والعربيّة. «وإذا تحدّثنا عن الأدب الجزائري، خاصّة المكتوب منه باللّغة الفرنسيّة وجدناه مرّ بمراحل عديدة، فلكلّ مرحلة ميزة تميّزها عن الأخرى من خلال المضمون أو من خلال قيمتها الفنّية. وباختصار يمكن أن نحدّد على الأقل ثلاث مراحل»[1]، هي:

1- مرحلة ما قبل الثّورة التّحريريّة: والتي تبدأ بالتّقريب من مطلع القرن العشرين وتنتهي باندلاع الثّورة التّحريريّة الكبرى، في هذه المرحلة كانت نتاجات الكتّاب على العموم بسيطة وضعيفة أحيانا وبخاصّة من النّاحيّة الفنّية لأنّها كانت تعالج موضوعات اجتماعيّة بسيطة ومعظمها أخلاقيّة وقد سمّيت هذه المرحلة بمرحلة المحاكاة والمثاقفة؛ لأنّ كتّاب هذه المرحلة حاولوا تقليد الكتّاب الفرنسيّين، وقد استعملوا اللّغة الفرنسيّة للتّعبير عن مشكلاتهم وعن آلامهم وكانوا يدافعون عن مختلف وجهات النّظر السّياسيّة: (الاندماج والمساواة، والحقوق، والحريّات الجديدة)[2]. «ويمكن الإشارة إلى بعض الرّوايات بدءا بما يمكن أن نعدّه أوّل عمل روائي في الجزائر، وهو "حكاية العشّاق في حبّ الاشتيّاق" لمحمد بن ابراهيم الذي يدعى "الأمير مصطفى" والذي يعود إلى تاريخ 1849، فكانت أوّل عمل قصصي انعكست فيه نتائج الحملة

---

[1] ينظر: يوسف الأطرش، المنظور الرّوائي عند محمّد ديب، منشورات اتّحاد الكتّاب الجزائريّين، الجزائر، دط، 2004، ص56.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص،ن.

الفرنسيّة على الجزائر على الرّغم من وجود ضعف لغويّ وتقني»[1]. وكما تزامنت أحداث **8 ماي 1945** ظهور رواية (غادة أمّ القرى) "لأحمد رضا حوحو"، والتي ظهرت في الأربعينات أمّا "واسيني الأعرج" فقد اعتبر (غادة أمّ القرى) أوّل عمل روائي مكتوب في الجزائر، فقال عنها أنّها ظهرت: "كتعبير عن تبلور الوعي الجماهيري بالرّغم من آفاقها المحدودة"[2].

2- مرحلة (من فترة الخمسينات إلى غاية 1962) عكست هذه المرحلة آلام الشّعب الجزائري، حيث «ظهرت الرّواية الجزائريّة الفنّية، وكانت أوّل رواية غيّرت اتّجاه الأدب في هذه المرحلة التّاريخيّة الحاسمة هي رواية "ابن الفقير" لـ: "مولود فرعون"»[3]. وكذلك "محـــــمّد ديب" «في أعماله الرّوائيّة عموما والثّلاثيّة خصوصا التي تنبأت بالثّورة في سنة 1952 مع صدور روايته (الدّار الكبيرة)، التي تلتها (الحـــــريق)، و(النّول)، وبذلك كانت إلياذة الجزائر قد ولدت أو كما يسمّيها (الثّلاثيّة) الشّاعر الفرنسي التّقدمي "لــويس أراغو" (Luis Arago) "مذكّرات الشّعب الجزائري" فاستحقّ "محمدّ ديب" اسم "بلزاك الجزائر" عن جدارة وبفضل مجـــــهوداته الإبداعيّة الجادّة. التي لم تخرج في يوم من الأيّام عن طموحات الشّعب الجزائري الكبرى»[4]، فكانت الرّوايات

---

[1] ينظر: مفقودة صالح، المرأة في الرّواية الجزائريّة – (دراسة)، ص50.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص51.

[3] يوسف الأطرش، المنظور الرّوائي عند محمد ديب، ص57.

[4] واسيني الأعرج، اتّجاهات الرّواية العربيّة في الجزائر (بحث في الأصول التّاريخيّة والجماليّة للرّواية الجزائريّة)، المؤسّسة الوطنيّة للكتّاب، الجزائر، دط، 1986، ص73.

التي ظهرت في الخمسينات صورة صادقة وناطقة عن الظّروف الصّعبة التي كان يعيشها الشّعب الجزائريّ آنذاك[1]، ومن الأعمال الروّائيّة رواية "نور الدّين بوجدرة" (الحريق) التي طبعت بتونس 1957، ورواية (الطّالب المنكوب) لعبد المجيد الشافعي سنة1951[2]. ولعلّ من أهمّ كتّاب هذه المرحلة: "مولود فرعون"، "محمد ديب"، "مولود معمري". «لقد أصبح الأدب الجزائري (النّاطق باللّغة الفرنسيّة) ذا بعد إنسانيّ عظيم عندما بدأ يعطي الأولويّة والصّدارة للمسألة الوطنيّة التي كانت وما زالت تعتبر جزءا لا يتجزّأ من كيانه. والقضيّة المحوريّة لكلّ الكتابات التي أنتجتها تلك الحقبة التّاريخيّة...»[3]، وبذلك عبّرت الأعمال عن آلام الشّعب الجزائريّ، وكذا صوّرت التّضحيّات لأجل نيل الحريّة وهوّ ما يشير إليه "مالك حدّاد" على نحو قول "واسيني الأعرج": «إنّ "مالك حداد" كما يقول هو نفسه، لم يبحث عن الحريّة في المعاجم ولا في المؤلّفات الفلسفيّة بل أصبح يبحث عنها ويجدها في عزيمة "ابن مهيدي"، وفي ابتسامة "جميلة بوحيرد"، وآلام "جميلة بوباشا" التي شرّفته وهي في قمّة عذابها بقراءة إحدى قصائده في غرف التّعذيب»[4].

---

[1] يوسف الأطرش، المنظور الرّوائي عند محمّد ديب، ص57.

[2] مفقود الصّالح، المرأة في الرّواية الجزائريّة، ص52.

[3] واسيني الأعرج، اتّجاهات الرّواية العربيّة في الجزائر (بحث في الأصول التّاريخيّة والجماليّة للرّواية الجزائريّة)، ص69.

[4] ينظر: المرجع نفسه، 72.

3- **مرحلة ما بعد الاستقلال:** في هذه الفترة دخلت الجزائر في مرحلة البناء وفي «جوّ من التّغيّيرات القاعديّة (القاعدة)، التي لا يمكن التنكّر لأهمّيتها وكان الأساس في ذلك. كما قال المرحوم "هواري بومدين" هو استغلال (كلّ الاستثمارات في صالح الجماهير الشّعبيّة)»[1]، شمل البناء في مختلف المجالات والميادين الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والتّعليم أمّا الأدب «فقد أخذ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسيّة على العموم اتّجاه آخر، وآخر رواية تحدثت عن حرب التّحرير هي رواية "الأفيون والعصا" لـ: مولود معمري أمّا فيما بعد فقد سلك الكتّاب بعد استقلال الجزائر مسالك شتّى فمنهم من هاجر إلى فرنسا واستقرّ فيها كما هو الشّأن بالنّسبة لـ: "محمّد ديب" ومنهم من أصبح يكتب باللّغة العربيّة بعد أن كتب باللّغة الفرنسيّة كأمثال "رشيد بوجدرة"، ومنهم من أصبح يهتمّ بفن المسرح مثل "كاتب ياسين". ولعلّ أهم ما تتّسم به أعمال مرحلة ما بعد الاستقلال هو "الرّفض وإعادة النّظر" ليجد الكاتب دوره الاجتماعي كمصلح وناقد لمجتمعه[2].

4- نماذج من الرّواية الجزائريّة: من الأعمال الرّوائيّة الجزائريّة ما هو مكتوب باللّغة الفرنسيّة، وما هو مكتوب باللّغة العربيّة وهي كالآتي:

---

[1] ينظر: واسيني الأعرج، اتّجاهات الرّواية العربيّة في الجزائر (بحث في الأصول التّاريخيّة والجماليّة للرّواية الجزائريّة)، ص82.

[2] ينظر: يوسف الأطرش، المنظور الرّوائي عند محمّد ديب، ص58.

- ✓ **من الأعمال المكتوبة باللغة الفرنسية نذكر:**
  - مولود معمري: الرّبوة المنسيّة، الأفيون والعصا، الطّاحونة.
  - محمد ديب: الدّار الكبيرة (1952)، الحريق (1957)، النّول (1957)، صيف أفريقي (1959)، شرفات أو رسول (1985).
  - كاتب ياسين: نجمة.
- ✓ **من الأعمال الرّوائيّة المكتوبة باللّغة العربيّة نذكر:**
  - عبد الحميد بن هدوقة: بان الصّبح، نهاية الأمس، غدا يوم جديد الجازية والدّراويش.
  - واسيني الأعرج: فاجعة اللّيلة السّابعة بعد الألف، ما تبقّى من سيرة لخضر حمروش، نوّار اللّوز.
  - طاهر وطّار: اللاّز، العشق والموت في زمن الحراشي.
  - رشيد بوجدرة: فوضى الأشياء، التّفكك.
  - محمد مفلاح: الانفجار.
  - أحلام مستغانمي : ذاكرة الجسد.

وبذلك ازدهر الأدب الجزائري بعد ركوده في الشّعر، والنّثر مع الحركة الإصلاحيّة وجمعية العلماء المسلمين، والتي كان من أهدافها إحياء الثّقافة العربيّة الإسلاميّة عن طريق التّعليم والتّربيّة والصّحافة[1].

---

[1] بن جدو موسى، الشّخصيّة الدّينيّة في روايات الطّاهر وطّار، دار الشّروق للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، دط، 2008، ص33.

وقد تأخّر ظهور الرّواية العربيّة في الجزائر بشكلها النّاضج إلى ما بعد الاستقلال، لأسباب عديدة أهمّها ما تعرّضت له الثّقافة العربيّة في الجزائر من تشويه في ظلّ الاحتلال ومحاولة عزله عن باقي البلدان العربيّة، وعدم توفّر الظّروف الماديّة والنّفسيّة والذّهنيّة لكتابة الرّواية وقراءتها واتّجه الأدباء قبل الثّورة، وأثناءها إلى الشّعر والقصّة، للدّفاع عن الشّخصيّة الوطنيّة، وأداء الرّسالة الاجتماعيّة وبثّ الحماسة والتّعبير عن الانفعال الآني وواقع الحياة اليوميّة[1].

وكما تضمّنت رواية (الطّالب المنكوب) لعبد المجيد الشّافعي وهيّ قصّة بسيطة في شكلها ومضمونها هموما ذاتيّة، ولم تختلف عنها رواية (صوت الغرام) لمحمّد منيع، رغم أنّها كتبت في فترة الاستقلال، فاكتفت بسرد قصّة حبّ تقليديّة ولم تشر إلى مظاهر الاستقلال والتّغييرات الحاصلة بالفعل والواقع السّياسي، والاجتماعي في البلاد عامّة[2].

وقد حفلت هذه الأعمال الأدبيّة المذكورة بالوصف الإنشائي المنفصل عن الأحداث الرّوائيّة والنّبرة الواعظة والخطابة والمباشرة وعدم التّسلسل والحسّ الرّومنسي، وتعمد الإثارة والصدفة كما خلت من التّحليل العميق للدّوافع النّفسيّة، واكتفت برصد الأخبار والأحداث والوقائع الخارجيّة بلغة تقريريّة جافّة

---

[1] بن جدو موسى، الشّخصيّة الدّينيّة في روايات الطّاهر وطّار، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص35.

ومليئة بالأخطاء في الكثير من الأحيان، ومع هذا فإنّ هذه الأعمال الأدبيّة الرّائدة لها فضل التّأسيس للرّواية في الجزائر[1].

ومع بداية السبعينات التي شهدت فيها البلاد تغيّرات قاعديّة ديمقراطيّة كبيرة، كانت (الولادة) الثّانية والأكثر عمقا للرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة فجاءت (اللاّز) كإنجاز فنّي جريء وضخم يطرح بكلّ واقعيّة وموضوعيّة قضيّة الثّورة الوطنيّة[2]. ظهرت الرّواية العربيّة النّاضجة في ظلّ الشّروط الجديدة، التي وفّرها الاستقلال الوطني، وكان "عبد الحميد بن هدّوقة" و"الطّاهر وطّار"، و"مرزاق بقطاش"، و"واسيني الأعرج"، و"سعيداني الهاشمّي" وغيرهم وجوه بارزة في مسيرة هذه الرّواية[3].

5- اتّجاهات الرّواية الجزائريّة: من أهمّ اتّجاهات الرّواية الجزائريّة، نذكر:

5-1- الاتّجاه الوطني والإصلاحي: وهو الاتّجاه الذي استهلت به الرّواية الجزائريّة مسيرتها، ومن أهمّ أعلامه :"أحمد رضا حوحو" (غادة أمّ القرى سنة 1947)، و"نور الدين بوجدرة" (الحريق سنة1957)، و"عبد الملك مرتاض" (بانوراما 1975)، و "زهور ونّيسي" (من يوميّات مدرّسة حرة1975)، وقد جسّد

---

[1] بن جدو موسى، الشّخصيّة الدّينيّة في روايات الطّاهر وطّار، ص36.

[2] ينظر: واسيني الأعرج، اتّجاهات الرّواية العربيّة في الجزائر (بحث في الأصول التّاريخيّة والجماليّة للرّوايّة الجزائريّة)، ص90.

[3] بن جدو موسى، الشّخصيّة الدّينيّة في روايات الطّاهر وطّار، ص36.

هذا الاتّجاه الحسّ الوطني الإسلامي الذي حاولت الحركة الإصلاحيّة، وخاصّة جمعيّة العلماء إحياؤه وبعثه في نفوس الجزائريّين[1].

5-2- الاتّجاه الوطني الاشتراكي: وفي هذا الاتّجاه ظهرت أكثر الرّوايات الجزائريّة المعاصرة ومن أهم أعلامه: "عبد الحميد بن هدّوقة"، و"الطّاهر وطّار"، و"واسيني الأعرج"، و"جيلالي خلاص"، و"إسماعيل أغموقات" على اختلاف بين روائي هذا الاتّجاه في المستوى الفنّي وفي المضامين كذلك. ولكن أصحاب هذا الاتّجاه يتّفقون على اختلاف بينهم على ضرورة تبنّي الحلّ الاشتراكي للخروج من الأزمة الاقتصاديّة، والاجتماعيّة والثّقافيّة التي يعيشها المجتمع الجزائري، وقد استند هذا الاتّجاه على الإصلاحات الاقتصاديّة والاجتماعيّة، التي طبّقت في الجزائر بعد حركة جوان 1965. والتي اعتبرها هؤلاء الرّوائيّون نقطة تحوّل نحو الاشتراكيّة[2]، فقد استطاع "الطّاهر وطّار" بتجربة ثوريّة جيدة (وهو بلا شكّ يكتب بنفس تقدمي واضح لا يحتاج إلى تزكيّة أو شهادة إثبات)، أن يفتح مرحلة جديدة. لتطوّر الواقعيّة الاشتراكيّة في الرّواية الجزائريّة ذات التّعبير العربي[3].

---

[1] بن جدو موسى، الشّخصيّة الدّينيّة في روايات الطّاهر وطّار، ص37.

[2] المرجع نفسه، ص 38.

[3] واسيني الأعرج، اتّجاهات الرّواية العربيّة في الجزائر (بحث في الأصول التّاريخيّة والجماليّة للرّواية الجزائريّة)، ص924.

5-3- الاتّجاه الوطني الإسلامي: ويمثّله روائيان هما: "مرزاق بقطاش" و"سعيداني الهاشمي" وهما من أقدر الرّوائيّين الجزائريّين المعاصرين ولكنّهما لم يحظيا باهتمام النّقاد والدّارسين وخاصّة سعيداني الهاشمي[1].

وعلى هذا الأساس فقد عبّرت الرّواية الجزائريّة عن اضطهاد الشّعب الجزائري وآلامه سواء باللّغة الفرنسيّة أو باللّغة العربية كما حملت البعد التّاريخي والأيديولوجي، وكما عرّفت مراحل في نموها قبل الثّورة التّحريريّة وبعدها إلى غاية نضجها وازدهارها في السبعينات.

[1] بن جدّو موسى، الشّخصيّة الدّينيّة في روايات الطّاهر وطّار، ص38.